

صورة المدينة الجزائرية في ظل السياسات السكنية "مدينة مستغانم نموذجاً"

أ - داني هشام

البريد الإلكتروني: danihichem27008@gmail.com

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

الملخص:

المدينة تشبه إلى حد كبير الكائنات الحية، فهي تولد وتنمو وتتطور، تمرض وتموت، ولعل أهم سبب يقف وراء ازدهار المدن أو مرضها وتلفها، هو العلاقة القائمة بين سكان المدينة والمعمار، فإذا أظهرت المدينة توافقاً وانسجاماً بين المعمار والفئات الاجتماعية الساكنة بها، فإن ذلك يؤدي إلى تطوير المعمار من جهة وإثراء عناصر الهوية الثقافية والاجتماعية للسكان من جهة أخرى، أو أنها تظهر تنافراً يعكس عدم قدرة المعمار على تلبية تطلعات المجتمع، فنلاحظ كمحصلة لذلك انتشار ممارسات مختلفة تعبر عن حالات عدم الاستقرار، تسببت في تدهور الحضائر السكنية، مثلما تسببت الحضائر السكنية في تلاشي العلاقات الاجتماعية لكونها لم تتمكن من اختزال الموروث الثقافي لهذه الفئات الاجتماعية. ومنه جاءت دراستنا هاته لنحاول من خلالها معرفة الصورة التي يحملها سكان مدينة مستغانم الساحلية عن مدينتهم، ومدى رضاهم عن المخططات والبرامج المنجزة لتطوير وتنمية المدينة، ومدى استيعاب الفضاءات العمرانية لثقافة السكان وتوافقه معها أو العكس، معتمدين في دراستنا على الاقتراب الكيفي من خلال إجراء مجموعة من المقابلات النصف موجهة مع سكان مدينة مستغانم "20 حالة"

الكلمات المفتاحية:

-المدينة - السكن - السياسة السكنية - التخطيط الحضري، -المجال العام .

مقدمة:

المدينة هي أعظم حدث حضري واعدد نمط عمراني شيده عقل الإنسان، فهي احد أهم الفضاءات التي تحقق الاجتماع الإنساني ذلك أن الإنسان هو كائن اجتماعي بطبعه. والمدينة هي أيضا فضاء يضم مجموعات بشرية مختلفة ومتعددة وهذا ما يجعلها مميزة عن الريف فهي "فضاء التعدد والاختلاف" (DRIS N,2005:88). ذلك لإشباع هامش الحرية الذي يتمتع به الأفراد والجماعات بداخلها" (ERNY P,1999).

وقد صنف ل. بزيه وظائف الإنسان داخل المدينة إلى أربعة وظائف وهي: سكن، عمل، تنقل، ثقاف ويعتبر السكن احد أهم مظاهر التواجد داخل الفضاء المدني، إذ يعتبر المسكن احد أهم الحاجات التي يسعى الإنسان لتحقيقها منذ أقدم العصور. ولا يمكن اعتبار السكن فضاء مادي صرف، بل هو تجسيد لمجموعة من التصورات" تنتج عن ثقافة سكنية تختزن بداخلها العلاقة بالقيم ، الدين ، التقاليد، الشرف، الحزمة، الذوق...الخ. والمجتمع الجزائري شأنه شأن باقي المجتمعات عرف العديد من المراحل المختلفة والمتباينة في سيرورته التاريخية ولعل ابرز ما يميزه هو تلك الفترات من الاستعمار الطويلة التي تلتها فترة ما بعد الاستقلال بمختلف مراحلها. وبرز تغير عرفه المجتمع الجزائري هو تحول من مجتمع ريفي إلى مجتمع مدني أي أن أغلب أفراده يسكنون في المدن. الأمر الذي ساهم في ظهور العديد من الصيغ والأنماط العمرانية وأدى إلى تنوع في مجال السياسات السكنية حيث أن التوجه أصبح نحو تحقيق أكبر قدر من السكن لامتناس الطلب الحاد ما جعل الجزائر تصبح على شاكله ورشة مفتوحة أمام المشاريع السكنية والأرقام توضح ذلك "مشروع مليون وحدة سكنية، مشروع مليوني وحدة سكنية" هذا التوجه السياسي والاقتصادي المتبنى في الجزائر تلبية لطلب في اقصر وقت والذي "أهمل الرؤية الفلسفية والسوسيولوجية لإشكالية المدينة الجزائرية" (باشا محمد، 2012: 4) كان حسب تعبير فليب فينو في كتابه المدينة أو الفوضى" نتيجة لالتقاء فكر سطحي ساذج مع آلة قادرة على البناء بشكل سريع وضخم" سهلة مهمة تحقيقها السلطة. وإن أهم ما يميز مدننا اليوم في مجال السياسة السكنية هو الاستقرار على نمط بناء واحد معمم يختلف إلا في صيغة من حيث مواد البناء والمساحة المخصصة ونوع الشريحة المستهدفة فقط، ويتميز ببناء مجموعة من العمارات بما يعرف بتجمعات السكنية يكون فيها السكان ملاك بالاشتراك في العديد من فضاءاتها" كالممرات وسلالم والمصاعد، والأقبية ومساحات اللعب وحظيرة السيارات...الخ". مدينة مستغانم واحدة من المدن الجزائرية التي عرفت تطبيق هاته السياسات السكنية ، ومنه و بناء على ما سبق جاءت دراستنا لنحاول من خلالها التطرق إلى الكيفية التي ينظر بها سكان مدينة مستغانم إلى صورة مدينتهم في ظل السياسات و البرامج السكنية؟

وللإجابة على هذه الفرضية أدرجنا الفرضيات الآتية:

-سكان مدينة مستغانم لا يملكون صورة واضحة و فكرة جلية لتطور المجالي لمدينتهم.
-عدم التوافق بين المعمار المنتج من جهة وما يحمله الساكن من ثقافة هو ما ساهم في تفاقم
المشاكل الاجتماعية داخل المدينة وتدهورها البيئي والعمراني.
ونهدف من خلال الدراسة الى الكشف عن ازمة مدننا اليوم وكذا الكشف عن الواقع الفعلي
للأحياء السكنية ، و ابراز الصورة المتخيلة التي يحملها السكان عن مدينتهم.
و بما أن طبيعة أي بحث تتحكم في اختيار نوع الأدوات المنهجية المستعملة، وكون أن موضوع
بحثنا يتطرق إلى صورة مدينة مستغانم في ظل البرامج والسياسات السكنية فقد لجأنا إلى " الاقتراب
الكيفي" (QUIVY R.CAMPENHOUDT LC,1995) معتمدين على المقابلة النصف موجهة لجمع
معطيات تتعلق بالسكان أنفسهم و الصورة التي يحملونها عن مدينتهم و درجة الرضا عن ذلك، "لأن
الإبتعاد عن التوجيه في المقابلة يسمح بتعابير تلقائية لما يحس به، ما يعتقد و ما يتصوره
المبحوثين" (HADJII E,2006: 25) و أجريت المقابلات مع عينة عشوائية مكونة من 20 مبحوث يشترط
فيهم السكن بأحد التجمعات العمرانية السكنية ذات الطابع الاجتماعي داخل المدينة و تقنية
الملاحظة المباشرة التي "تتم عن طريق الإتصال المباشر بالظاهرة، والتعايش معها ومراقبة
سلوكها" (مهدي زوليف، 1998: 71) .

مستغانم: ثنائية التاريخ والسكان

مستغانم مدينة جزائرية تطل على البحر الأبيض المتوسط، هي عاصمة الولاية ونوايتها الأولى، كما
أنها المدينة الوحيدة التي يقطعا خط غرينش. تتربع على " مساحة 2269 كلم²" (PDAU,2004) يبلغ
عدد سكانها حوالي 158446 نسمة حسب آخر تعداد سكاني. بالنسبة للولاية فإنه يحدها شمالا
البحر الأبيض المتوسط، أما غربا ولاية وهران، وشرقا تحدها ولاية الشلف في حين تحدها جنوبا كل
من ولايتي غليزان و معسكر.



خريطة : توضح موقع ولاية مستغانم في الجزائر

أما الحدود الإدارية لبلدية مستغانم فهي: البحر الأبيض المتوسط شمالا. ومن الشمال الشرقي كل من بلدية بن عبد المالك رمضان، عين بودينار. أما الجنوب الشرقي نجد بلدية عين بودينار، بلدية خير الدين، بلدية صيادة. أما جنوبا فكل من بلدية مزعران، حاسي ماما.



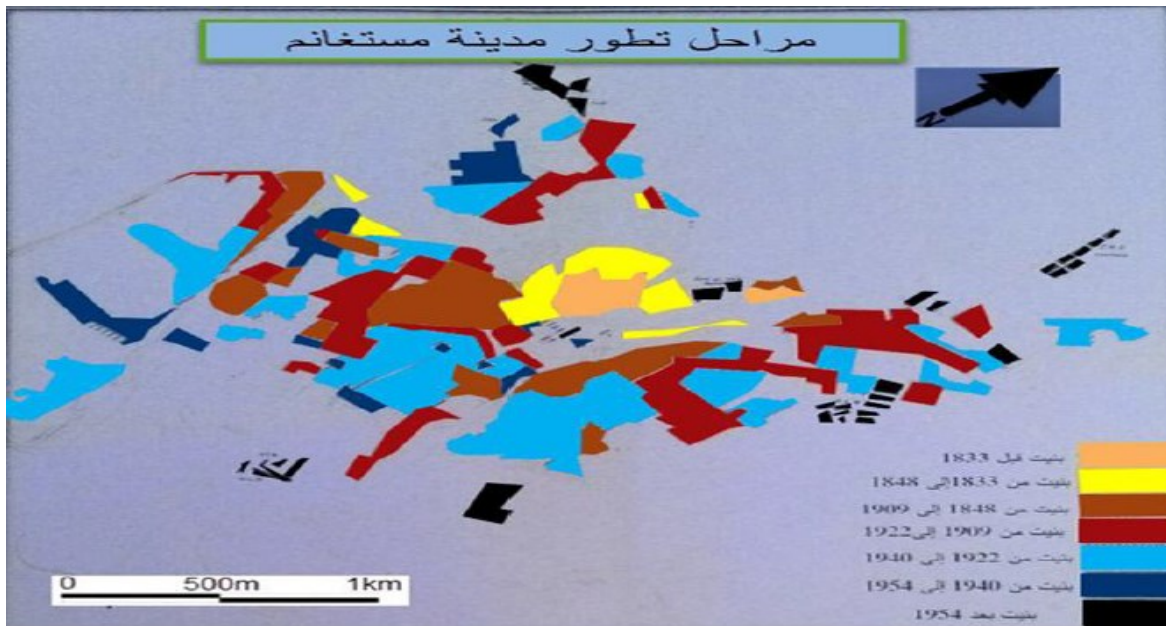
خريطة: موقع بلدية مستغانم

و بالنسبة لموقع المدينة نجد أن كل المستجوبين يملكون تصور دقيق و واضح حول موقع مدينتهم و حدودها الإدارية. و هو موقع جد هام و تكمن أهمية تحديد الموقع في كونه "يعتبر من أهم الضوابط المؤثرة في دراسة المراكز العمرانية" (الهادي لعروق، 1984: 25).

تاريخيا لم يتوصل الباحثون لتحديد دقيق لتاريخ نشأة مدينة مستغانم و هذا راجع إلى نقص الوثائق التاريخية، حيث اختلفت الروايات عنها، إلا أن بعض المؤرخين أكدوا على أنها مدينة قديمة جدا، يعود تاريخها إلى العهد الفينيقي أين كانت عبارة عن مرسى هام لسفنتهم، و أطلقوا عليها اسم "موريستاغا"، ثم دخلها الرومان في فترة ما بين (260م-268م) وذلك بعد الزلزال العنيف الذي ضرب شمال افريقيا في عهد الامبراطور "كلود غالبان"، فقاموا بتجديدها و تحصينها و أطلقوا عليها اسم "كارطينا". وقد أصبحت في الفترة (1061-1106م) تحت حكم المرابطين بعد أن فتحها الرستميون حيث إتخذوها كمرسى لسفنتهم التجارية، لكن لم تحظى بالأهمية إلا في عهد المرابطين بقيادة "يوسف ابن تاشفين" حيث بنوا بها مركز حربي يدعى "برج المجال" في سنة 1072م على كتلة شمال المدينة الحالية. و هو يعتبر النواة الحقيقية لبداية ظهور مدينة مستغانم ككيان عمراني لتصبح قاعدة إسلامية تحت اسم "مشتى غانم" و قد نمت و ازدهرت في ظل حكم "بنوزيان" ثم "بنو مرين" كما شيد بها السلطان ابو الحسن علي ابن أبي السعد سنة (742-1342) المسجد الكبير بعي "التبانة" الذي لعب دورا كبيرا في نشر الدين الاسلامي بالمدينة و ضواحيها، و في سنة 1505م قد بدأت عملية

الاستيطان من طرف الاسبان في المغرب و شرقه و في عام 1511م (25ماي) إستسلمت ووقعت مستغانم معاهدة الاستسلام للعدو فجعلوا منها نقطة مراقبة لحماية انفسهم بمدينة وهران إلى ان طردوا من طرف سكانها بمساعدة العثمانيين بقيادة خير الدين بربروس سنة 1858م بعد معركة ضارية كان قائدها الشاعر الكبير سيد لخضر بن خلوف فبدأ لها تاريخ جديد و عرفت نمو سكانية و عمرانيا جديدا، خاصة لقربها من عاصمة البايك الغربي آنذاك "مدينة مازونة" حيث شيدوا بها مباني عديدة كقصر الباي بوشغم في المطمر، وكذا هجرة أهل الاندلس إليها واستقرارهم بها وبنائهم للمنطقة الاسلامية "تجددت" في الضفة اليمنى لواد عين الصفراء.

في جويلية سنة 1833م احتلت المدينة من طرف الاستعمار الفرنسي عى يد الجنرال "دي ميشال" بعد مقاومة عنيفة كن على رأسها الأمير عبد القادر شخصيا و حولت فرنسا برج الترك الحصين إلى ثكنة عسكرية ، فظهرت المدينة الأروبية الجديدة التي غيرت من النسيج الحضري للمدينة من الطابع الإسلامي إلى الأوروبي المسيطر، وبعد الاستقلال 1962م عرفت المدينة نمو سكانية و عمرانيا ملحوظ حيث ملئ بها الفراغ و التحمت الأحياء القديمة بالجديدة، لكن كل ذلك لم يمنعها بالاحتفاظ بمعالمها التاريخية كالمسجد الكبير الذي يعود تاريخه الى القرن 14 عشر. وحي تجديدت الذي توجد به أضرحة أقيمت للأولياء الصالحين وكذا أسوار العهد التركي و الزوايا الدينية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر (أرشييف ولاية مستغانم). و أبان اغلب المبحوثين عن عدم معرفة أو عن معرفة سطحية حول تاريخ المدينة وأصل تسميتها هذه المعرفة البسيطة تم اكتسابها إما من خلال وسائل الاعلام كما صرح المبحوث رقم 6: " انا مرة كنت نسمع فالراديو وقالوا معنى إسم مستغانم جاء من كلمة مشى الغنم و معناه بكري (قديم) سكان المنطقة كانوا معروفين برعهم للغنم" في حين يقول المبحوث رقم 2: " أصل التسمية هي مسك الغنائم وتعني أن المدينة كانت مشهورة بجمالها و خيراتها الطبيعية" وهذا الجهل بأصل التسمية يمكن ارجاعه الى التضارب الكبير في أصل تسمية أغلب المدن الجزائرية و أصل الكلمات إن كانت فينيقية أو أمازيغية أو عربية.



خريطة : مراحل تطور مدينة مستغانم

و بالنسبة للتطور السكاني للمدينة فيمكن القول أن الأصول الأولى لسكان مدينة مستغانم حسب الدراسات التاريخية و الذاكرة الشعبية المتوارثة تعود إلى المهاجرين الأندلسيين الذين جاؤوا من الأندلس، ولكن لقلت المصادر المتعلقة بتعدادهم قبل 1833م ، سنعالج تطور سكان المدينة بداية من فترة الاستعمار الفرنسي حيث أنه عند بداية الاحتلال الفرنسي لمدينة مستغانم سنة 1833م قدر عدد السكان بحوالي 7000 نسمة ليتضاعف في مدة 63 سنة ليصل عام 1896م إلى 13500 نسمة 45% منهم أوروبيين. و الملاحظ هو الزيادة المحدودة لعدد السكان الأصليين للمدينة، ليرتفع عدد السكان إلى 41000 نسمة عام 1940م منهم 19000 اجنبي، وذلك بسبب الهجرة التي عرفتها المدينة نحوها من طرف سكان المناطق المحيطة من أجل العمل بها. و قد رافق هذه الزيادة ظهور الأحياء القصديرية بالمدينة ، و قد سجل عدد سكان المنطقة بصفة رسمية عند أول إحصاء سكاني تقوم به الإدارة الاستعمارية للجزائر سنة 1954م حيث قدر عددهم بـ 60186 نسمة منهم 40000 جزائري ، أي ثلثي سكان المدينة، وذلك بسبب الزيادة الطبيعية و الهجرة. بعد الاستقلال سنة 1962 نظم أول تعداد سكاني في عهد الجزائر المستقلة سنة 1966م ، حيث بلغ عدد السكان 63744 نسمة منهم 1852 اجنبي، ثم ارتفع سنة 1977 إلى حوالي 101894 نسمة بمعدل نمو سنوي بلغ 3.4% و هو مرتفع بسبب زيادة وتيرة النزوح الريفي إلى المدينة خاصة من منطقة غليزان التي كانت تابعة إداريا لولاية مستغانم آنذاك، للعمل خاصة بالوحدات الصناعية التي تركزت بالمدينة و الميناء، و مشاريع البناء (ZHUN)، و أيضا الوظائف الادارية و يضاف إليها الزيادة الطبيعية للسكان. و تعد هذه المرحلة أهم مرحلة للنمو السكاني بالمدينة التي أدت إلى تشبع الحظيرة السكنية و بداية ظهور أزمة السكن. بلغ عدد سكان في الإحصاء السكاني لسنة 1987م حوالي 116571 نسمة بزيادة تقدر بـ 16 ألف نسمة بمعدل نمو سنوي قدر بـ 2.6% بين (1977-1987) و الملاحظ هو انخفاض وتيرة النمو

السكاني وذلك لعدة عوامل من بينها بروز القطب الصناعي الجديد في مدينة أرزيو، الذ أصب عامل جذب لسكان المناطق المحيطة بها وهو لا يبعد عن مدينة مستغانم إلا بـ 50 كلم مما أدى الى انخفاض في معد الهجرة نحو مستغانم، و ارتقاء بعض المراكز العمرانية بعد التقسيم الإداري لسنة 1985. وقدر عدد سكان مدينة مستغانم بحوالي 128663 في تعداد 1998 بمعدل نمو سنوي لا يتعدى 1% بين 1998/1987 م. وهذا المعدل أقل بكثير من معدل النمو الخاص بالولاية و المقدربـ 02.02% حيث بلغ عدد سكان التجمع الحضري بالمركز البلدية 124673 نسمة بكثافة تقدر بـ 96.8 نسمة في الهكتار ، يمثلون 20947 أسرة موزعة على مساحة حضرية تقد بـ 1287.63 هكتار. ليحافظ النمو السكاني للمدينة على نفس الوتيرة بين الفترة الممتدة بين 1998 و الى غاية 2008 اين قدر عدد سكان المدينة بـ 145696 نسمة في سنة 2015 م بحوالي 158446 نسمة و ذلك حسب المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لسنة 2015 م، و يتوقع أن يفوق عدد السكان في سنة 2020 م، 200 ألف نسمة ، وهذه الزيادة حتما سيرافقها زيادة في المتطلبات من سكن ومرافق و هياكل الضرورية. ويتوزع سكان مدينة مستغانم حاليا كالتالي: 156750 نسمة بمركز المدينة و 1696 نسمة بمناطق المبعثرة و الجدول التالي يبين توزيع الأسر ببلدية مستغانم.

النسبة %	المجموع	عدد الإناث	عدد الذكور	الأسر	
98.93	156750	79817	76933	34263	مركز المدينة ACL
01.07	1696	892	804	270	المناطق المبعثرة ZE
100	158446	80709	77737	34533	المجموع

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لسنة 2015

و من خلال الجدول يتضح أن الغالبية الساحقة لسكان بلدية مستغانم هم سكان حضريون في حين ما نسبته 1% فقط يعيشون بمناطق مبعثرة بالقرب من مصب واد الشلف.

* التوسع العمراني لمدينة مستغانم و تشكل صورتها:

إن الأصالة التاريخية لمدينة مستغانم جعلها تعرف العديد من الأنماط العمرانية بداية بالمدينة العربية الإسلامية أو مرحلة ما قبل 1833: إذ ترجع أهمية مستغانم إلى الفترة العثمانية ، و كانت توصف على أنها مدينة صغيرة تحتوي على أسواق، حمامات، وحدائق... ، و قد أثرت طوبوغرافية المنطقة على التنظيم المجالي لها حيث أسست ثلاثة وحدات على حافتي واد عين الصفراء:

*-الدرب: هو إحدى الوحدات تتضمن أهم البنايات الدينية و الإدارية القديمة لخدمات و مصالح البايك، المسجد الكبير (1341-1342) تحت الحكم المريني، برج محال، قصر الباي محمد الكبير و زاويتين.

*-المطمر: هو حي يقع على الجانب الآخر للواد على أراضي المدينة بحصن الشرق.

*-تجديديت: هو حي يقع في شمال المطمر على نفس الضفة من الواد ، تأخذ نفس الشكل للواد و للأراضي ذات الانحدارات.تعتبر هذه المدينة كوحدة مستقلة في المجال الوظيفي، مدعمة بواسطة مناطق روحية مثل المقامات و المساجد الصغيرة،مجل هاته الوحدات متجانسة لتشكل المدينة العربية الإسلامية. و تمكن معظم المستجوبين من تسمية الأحياء القديمة التي تعود الى الفترة العثمانية و هذا لسهولة تمييز نمطها العمراني و تدهوره ما سهل عملية التعرف عليه من قبل المستجوبين. و بعد الاستعمار الفرنسي ظهرت المدينة الكولنيالية: لتعرف المدينة دخول نمط البناء الغربي و يمكن تقسيم عمليات التوسع العمراني إلى ثلاث مراحل.المرحلة الأولى 1833-1848: هذه المرحلة عرفت نمو عمراني بطيء للمدينة، و ذلك لاهتمام السلطات الاستعمارية بالجانب العسكري لتثبيت السلطة بالمنطقة حيث استعملت المطمر كحامية عسكرية، و قد تأسس مستشفى في شمال المطمر و منطقة المحطة الجديدة جنوب شرق الواد. و عرفت سنة 1847 تهيئة عمودية لرصيف الوادي على محور شمال-جنوب مع بداية إنشاء الميناء الجديد للمدينة سنة 1848م. و في المرحلة الثانية ما بين 1849-1909: برز البناء الأوروبي الحديث حيث تم تشييد حي Lamarine في الشمال الغربي، pépinière في الجنوب الغربي ، Beymouth في الجنوب، Saintjules شرق Beymouth. و عرف الميناء تهيئة حقيقية (400 متر) و إنشاء خط السكة الحديدية سنة 1900 مرتبط مع غليزان و تيارت. لتشهد المدينة في المرحلة الثالثة 1910-1962: تطور متسارع و توسع الأحياء المشيدة خاصة تجديت الذي عرف توسعا جد قوي نتيجة لتطور الديمغرافي. و عرفت ظهور أحياء عصرية Monplaisir في الشرق و صلامندر و ظهور أحياء فوضوية كحي Raisinville حول الكروم و حي العرصة ، مع إكمال أول حوض للميناء (1838-1941)، إنشاء مستودعات في حي Lamarine ، بناء ثاني حوض للميناء ما بين (1953-1959)، و قد بدأ توسع المدينة بطريقة نصف دائرية حول الميناء يجمع بين الطابع التقليدي و الحديث. و معظم المستجوبين يعرفون الأحياء التي أنشئت خلال الفترة الاستعمارية لما يتميز به هذا النمط المعماري و تركزه بوسط المدينة و الأحياء المجاورة له.حيث "تحولت المدينة الاستعمارية بحلول القرن العشرين إلى حقل تجارب للنظريات المعمارية المجددة و أدوات و مناهج التهيئة العمرانية المبتكرة"(JEAN-PIERRE G,1988 :45) (و بعد أن نالت الجزائر استقلالها ظهرت مدينة ما بعد الاستقلال: ويمكن تقسيم مراحل هذا التوسع العمراني إلى ثلاثة فترات. الفترة الأولى ممتدة من "1977-1998": تتميز هذه المرحلة بظهور مجتمعتين حضريتين جديدتين هما: المنطقة الحضرية السكنية الجديدة ZHUN I شرق حي تجديت، تتربع على مساحة 60 مكتار تضم 800 مسكن و بعض المرافق الضرورية كالمدارس ، المحلات التجارية و هي تدخل في نطاق التوسعات نحو الجهة الشمالية الشرقية للمدينة وفق مخطط التعمير الموجه (PUD) لسنة 1974م. والمنطقة الحضرية الجديدة ZHUN II تقع في جنوب المدينة على حساب الأراضي الزراعية

الخصبة، وتنتهي حدودها حتى الطريق الوطني رقم 23 قرب المركز الجامعي و المركب الرياضي وتتركز على مساحة 80 هكتار، تضم 1966 مسكن وأهم أحيائها 5 جويلية يضم 900 مسكن به عمارات تضم خمسة طوابق. يضاف الى هذه المشاريع مشاريع البناء الذاتي خاصة في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة كبناء أحياء جديدة كحي الحرية، جزء من حي الليمون(سيترولي)، وتوسع حي جبلي محمد والعقيد لطفي (Raisin ville) وهذا على حساب الأراضي الزراعية بقطع أشجار الكروم والحمضيات وحتى الغابات المحيطة، مما سبب إعتداء صارخ على البيئة الطبيعية المكتملة للبيئة الحضرية.

الفترة الثانية "1998-2008": تميزت بتوسع أقل أهمية من المرحلة السابقة بظهور مجمعة حضرية ZHUN في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة بجانب الطريق الوطني رقم (11) وتضم أكثر من 3330 مسكن. إضافة إلى برنامج انجاز 14 ألف سكن داخل النسيج العمراني للمدينة. أغلبها ارتكز بالأحياء المحيطة كحي خروبة و صلامندرو والمنطقة الحضرية السكنية الجديدة ZHUN.

أما الفترة الثالثة من 2008 إلى غاية وقتنا الحالي: عرفت فيها المدينة نهضة عمرانية سريعة نظرا للظروف الاقتصادية المريحة التي عرفتها البلاد. وتنوع البرامج والصيغ السكنية المقررة وقد واجهت هاته العمليات التوسعية مشكل نقص في الوعي العقاري، ما جعل النسيج العمراني للمدينة يتجه لتوسع على حساب أراضي تابعة للبلديات المجاورة كبلدية مزگران و صيادة و خير الدين و بن عبد المالك رمضان. وهو ما ساهم في رفع الضغط عن الاحتياط العقاري للمدينة. وقد تضمن البرنامج الخماسي 2010-2014 والبرامج التكميلية للولاية 58863 وحدة سكنية، بلغ عدد السكنات المنتهية 42532 وحدة سكنية، أما السكنات في طور الانجاز 14020 وحدة سكنية، في حين أن عدد السكنات الغير منطلقة فقدرب 1027 وحدة سكنية، ونجد أن الحصة الأكبر من هذا البرنامج قد خصصت للسكن الحضري ببرنامج إجمالي قدر ب 30609 وحدة سكنية مقابل 28254 وحدة سكنية خصصت لبرنامج السكن الريفي، كما أن بلدية مستغانم قد استفادة من حصة 227 وحدة سكنية فيما يتعلق بالسكنات العمومية الايجارية من مجمل حصة الولاية والمقدرة ب 2007 وحدة موزعة على 16 بلدية، و 772 وحدة سكنية فيما يتعلق بسكنات الترقوي الحر من مجمل حصة الولاية المقدرة ب 807 وحدة سكنية، أي بنسبة 95.66% من حصة الولاية. وقد استفاد وسط المدينة من عملية ترميم البنايات القديمة وذلك في إطار إعادة تأهيل ورد الاعتبار للنسيج العمراني القديم حيث تم تسطير عملية شاملة وممنهجة تتدخل ضمن عدة مراحل، شملت في المرحلة الأولى 19 عمارة وسط المدينة، 04 منتهية بها الأشغال فيما يخص الواجهات و 15 في طور الانجاز، وهذه العملية متابعة من طرف مكتب دراسات ومؤسسة إنجاز متخصصتان في ميدان إعادة التأهيل. وتتوزع أنماط السكن بمدينة مستغانم حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

النمط	جماع	فردى	تقليد	قصد	آخ	غير	المجمو
-------	------	------	-------	-----	----	-----	--------

ع	مصرحة	ر	يري	ي	ي	ي	
2572 6	22	9 7	509	2314	1094 9	1183 5	عدد المساكن
100	0.1	0. 3	2	9	42.6	46	النسبة %

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير لمدينة مستغانم 2015م.

و من خلال الجدول يتضح أن النمط العمراني السائد في البناء هو النمط الجماعي بنسبة 46% و هذه النسبة مرشحة للارتفاع بسبب تشجيع الدولة و اعتمادها على هذا النمط من البنيات في سياساتها السكنية. و نلاحظ من خلال إجابات المبحوثين عن إدراك لكيفية توسع المدينة و اعتبار أن المدينة تتوسع بشكل عشوائي دون تخطيط كما يشير المبحوث رقم 19: "المدينة تتوسع لوحدها و إنما يصيبوا بلاصة (أيضا وجدوا مكان ملائم) يبنوا المدينة تمشي في كامل الاتجاهات. و يرى المبحوث رقم 10: "لا اعتقد أن هناك رؤية مستقبلية و تخطيط قال جاء مشروع اختاروا بلاصتو و بنوه" و هو ما يبرز العشوائية في التسيير و التخطيط الكبير لمؤسسات الدولة خلال تطبيق السياسات السكنية. في حين يرى المبحوث رقم 3 عكس ذلك و هو يثمن فكرة إنشاء الهي الإداري بمنطقة صلامندرو الذي يظلم أغلب المقرات و المديرية الإدارية إذ يصرح: "أنا معجب بفكرة تجميع الإدارات في مكان واحد هكذا سهلة الدولة (السلطة) الكثير من الأمور على المواطن البسيط.

بالرغم من كل هذه الأرقام الهامة إلى أن السياسة التوسعية للمدينة تواجهها مجموعة من العوائق و العراقيل الطبيعية و تقنية، و هذا ما يدفع بالسلطات المحلية إلى التفكير في إيجاد أساليب و طرق تمكنها من حل هذا المشكل بأقل التكاليف الممكنة. و أهم العراقيل الطبيعية: تتمثل في الأراضي الفلاحية ذات المردودية الزراعية في الجهة الجنوبية للمدينة، و المنحدرات التي تميز هضبة مستغانم في الجهة الجنوبية الغربية بميل يتعدى 15%، إضافة إلى المساحة الغابية الموجودة في الجهة الشرقية للمدينة، و وادي عين الصفراء الذي يشكل عائق لاستغلال المساحات العقارية داخل النسيج الحضري.

أما العراقيل التقنية: هي من صنع الإنسان و تمثل بدورها مصاعب إضافية تحد من اتساع المدينة بسبب النفايات التي تفرزها و المخاطر التي تشكلها مثل الخطوط الكهربائية ذات الضغط العالي و المتوسط. و تأخر تسليم العديد من المشاريع المبرمجة كسكنات المتأخرة في تسليم، مشروع المستشفى الجامعي المعطل منذ 10 سنوات و مشروع الترامواي الذي عرف إتمامه تأخرا كبيرا. و إلى جانب هذه العراقيل هناك مشكل عويص تواجهه عملية التوسع، و يتمثل في الأراضي الخاصة مما

يستوجب على السلطات أحيانا شراء الأراضي من ملاكها. وبالرغم من هذا إلا أن المدينة ليست مجرد رقعة جغرافية مجردة أو مجموعة من البنايات الجامدة. المدينة حياة و هي تعيش داخل وجدان السكان كما هم يعيشون داخلها و هو ما يبرز من خلال إجابات المبحوثين إذ نجد أن سكان مستغانم متعلقين و يحبون مدينتهم الحالية كثيرا و هم شديدي الارتباط بها و لا يتمنون مغادرتها خصوصا فئة الكهول بالرغم من المشاكل التي تعاني منها المدينة في شتى المجالات حسب المستجوبين. لكن هذا لم يمنع معظم المستجوبين في التعبير عن عدم رضاهم على البرامج التنموية التي تشهدها المدينة إذ يرون أن السلطات لم تستغل مميزات المدينة خصوصا طابعها السياحي بطريقة الأمثل ما نتج عنه العديد من المشاكل خصوصا خلا فصل الصيف أين تعرف المدينة استقطابا سياحيا من جميع ربوع الوطن و حتى من البلدان الأجنبية. من مشاكل في الطاقة و النظافة و الازدحام و نقص في الخدمات. لذلك "نظرنا إلى العمارة يجب أن تبدأ من الخلف، من التاريخ و التقاليد حتى نسير بها إلى الأمام" (محمود الذواودي، 1997: 3) كما لاحظنا تدمرا كبيرا من قبل المستجوبين نتيجة البطء في انجاز المشاريع التنموية خصوصا مشاريع السكن و حتى من الناحية الهندسية فالعمارات التي تسمح للجميع بولوجها و الوصول الى باب المسكن جعل الكثير من السكان يرغب و يسعى للرحيل عنها ، و هو الأمر الذي "لا يسمح بتكوين علاقات الجيرة و إثراء العلاقات الاجتماعية داخل الأوعية الحضرية" (باشا احمد، 2011: 162) و هو ما يساهم في العزلة الاجتماعية و عدم التواصل و الانكفاء على الذات "بسبب غياب التاريخ و الانتماء الجماعي" (HADJII D, 2001: 397) ، بمعنى أن عدم الاستقرار يساهم في تلاشي العلاقات الاجتماعية. وبتالي فقدان الشعور بالانتماء إلى المكان و منه عدم الشعور بالمسؤولية اتجاه ذلك الفضاء. و هو ما استنتجناه من خلال إجابات المبحوثين .

خاتمة:

في الأخير يمكن القول "العمارة وثيقة تاريخية تطلعنا على أحوال المجتمعات من قبلنا كما أنها ظاهرة الاجتماعية تستجيب لمختلف الحاجات الاجتماعية الروحية والثقافية لأي مجتمع" حسب تعبير الدكتور باشا حاج محمد كما يضيف بأنها تجسيد لتفاعل الفكر والمادة والمعمار إذ لم يستطع الاستجابة لتطلعات المجتمع فانه يحدث نوعا من التنافر مع ساكنيه لتكون محصلة ذلك انتشار مجموعة من الممارسات التي تعبر عن عدم الاستقرار وتلاشي في العلاقات الاجتماعية عموما خصوصا علاقات الجيرة. أن الواقع الذي لا يخفى داخل التجمعات السكنية أصبح يستدعي دق ناقوس الخطر إذ لا تكون هناك فائدة من سن قوانين وتركها دون تطبيق .

فمجموع الممارسات التي لاحظناها ولمسناها من خلال إجابات المبحوثين والتي لا تعبر عن حالة التحضر التي يجب أن تنتجها المدينة ، فالفضاء عندما يظل فيزيقيا ولا يتحول اجتماعي معناه انه لا ينتج لدى القاطنين إحساسا بالانتماء لأنه عقيم بطبيعته الهندسية وهو فضاء قاهر وضغط وبعيد عن تطلعات المواطنين على حد تعبير الدكتور حجيج جنيد . ما يؤدي إلى نكران هذا الفضاء وهو ما

يسمح للآخر بالتحرك والتعدي عليه فالفضاءات المشتركة والتي تسمح بدخول الجميع إلى الأحياء والعمارات هي فضاءات حرة على حد تعبير " فليب فينيو " خصوصا مع الجهل الكبير لمفهوم التحضر وغياب الشعور بالإنتماء إلى المدينة وبتالي عدم وجود شعور بالمسؤولية اتجاهها وخصوصا اتجاه الفضاءات العامة وداخلها الأمر الذي جعل أجزائها العامة عرضة للتدهور والتشويه. وبالتالي يمكن القول أن سكان مدينة مستغانم غير راضين على الصورة الحالية لمدينتهم وهم لا يملكون صورة واضحة عن تاريخها وتطورها كما أنهم غير راضون عن النمط العمراني المطبق من خلال السياسات السكنية وهو ما يتطلب إعادة النظر في السياسة السكنية المنتهجة فلا يمكن اختزال وظائف الأحياء السكنية في أنها مجرد مراقدة للنوم بل هي فضاءات للعيش والقيام بالعلاقات الاجتماعية كعلاقات الجيرة ومكان لإنتاج التحضر.